دُعابةُ إبليس (١) (٢)

أمَا إنِّي سأقصُّ هذه الحكايةَ كما اتفقَتْ ، لا أُزيِّنها بخيالٍ ، ولا أتزَيَّدُ فيها بخبرٍ ، ولا أولِّد لها معنى ؛ فإنَّما هي حكايةُ خُبْثِ الخبيثِ ، فنُّها : حِذْقُه ، ودَهاؤه ، ورقَّتُها : غِلْظتُه ، وشرُّه . ومعانيها : بلاؤه ، ومِحْنتُه ، وأعوذُ باللهِ من الشَّيطان الرَّجيم ، واللهُ المستعان .

لمَّا فكَّرتُ في وضع مقالة (إبليس) من أحاديث (ابن مسكين) ، وأدرتُ رأيي في نهجها ، وحدودِها ، ومعانيها ؛ جعل فكري يتقطَّع في ذلك ، يذهبُ ، ويجيء كأنَّ بيني وبينه منازَعةً ، أو كأنَّ في نفسي شيئاً يَثنيني ويقطَعني عن العَزم ؛ وخُيِّل إليَّ حينئذٍ : أنَّ (إبليسَ) هذا منفَعةٌ من المنافع . . . وأنَّه هو قانونُ الطَّبيعةِ ؛ الذي نَصُّ مادَّته الأولى : ما أعجبَ ؛ فهو لك . ونَصُّ مادَّته الأخيرة : ما احتجتَ إليه ؛ فثمنُه أن تقدرَ على أخْذِه . . .

وهَجَسَ[٣] في نفسي هاجسٌ : أنَّ (إبليسَ) قائمٌ في لفظ الحرِّية ، كما هو قائم في لفظ الإثم ، وأنَّه إن يكنْ في قلوب الفُسَّاقِ ، فهو أيضاً في أدمغة الفلاسفة . وإن كان في سقوط أهل الرذيلة إلى الرذيلة ؛ فهو كذلك في سموِّ أهلِ الفنِّ إلى الفنِّ . . . قال الهاجس : وإنَّ (إبليسَ) أيضاً هو صاحبُ الفضيلةِ العمليَّة في هذا العصرِ الماديِّ ، هو من ثَمَّ حقيقٌ أن يلقِّبوه « صاحبَ الفضيلة . . . » .

ولكنِّي لم أحفِلْ بهذه الوساوس ، ولم أعُجْ على شيءٍ منها ، واستعنتُ اللهَ ، وأمضيْتُ نيَّتي على الكتابة ، وأخذتُ أقلِّبُ الموضوع ، وأنبِّه فكري له ، وأستَشْرِفُ لما يؤدِّي إليه النَّظر ، وأتطلَّع لما يجيء به الخاطر ، وألتمسُ ما أبني عليه الكلامَ ، كما هي عادتي ، فلم يقع لي شيءٌ ألبتَّة ، كأنَّما ذهَبَ أوَّلُ ابتداءِ الموضوع ، فلا أولَ له ، ولا سبيلَ إلى اقتحامِه ، وكأنَّه من وراءِ العلم ، فلا يُبْلَغُ إليه ، وكأنَّه من

---

(١) انظر : « عود على بدء » من كتاب (حياة الرافعي) . (س) .

(٢) « الدعابة » : المزاح واللعب . وكل ما سيردُ في هذه المقالة فهو صحيح ، لم نخترع منه شيئاً . (ع) .

(٣) « هجس » : خطر .

التَّعذُّر كمحاولة تصوير حماقة الحياة كلِّها في كلمةٍ . وإبليس كلمةٌ فيها حماقةُ الحياة كلِّها .

* * *

ومن عادتي في كتابة هذه الفصولِ التي تنشرها (الرِّسالة)[١] ، أن أدعَ الفصلَ منها تقلِّبه الخواطرُ في ذهني أيامَ الثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، وأترك أمره للقوَّة التي في نفسي ، فتتولَّد المعاني من كلِّ ما أرى ، وما أقرأ ، وتَنْثَالُ من ها هنا وها هنا ، ويكون الكلام كأنَّه شيءٌ حيٌّ أريدَ له الوجودُ ، فوُجِد .

ثُمَّ أكتب نهار الجمعة ، ومن ورائه ليلُ السَّبت وليلُ الأحد كالمدد من وراء الجيش؛ إذا نالتْني فترةٌ، أو كنتُ على سفَرٍ، أو قطعَني عن الكتابة شيءٌ مما يَعْرِض.

وفي أسبوع إبليس (لعنه الله) ، مرَّت الأيَّامُ الثلاثةُ وفيها ثلاثةُ ألوان : ضجَرٌ لا رَوْحَ فيه ، وكَسَلٌ لا نشاطَ معه ، واضطرابٌ لا مِساكَ له . وأطلتُ التَّفكيرَ يوم الخميس ، فكانت تعتريني خواطرُ مضحِكَةٌ : فيعرضُ لي مرَّةً أن أصوِّر إبليسَ امرأةً ؛ ليكونَ إبليسَ الجميل . . . وتارةً أتوهَّم : أنَّ إبليس يريد أن يكونَ شيخاً كبعض رجال الدِّين الذين لا تزالُ تطَّلِعُ على خائنةٍ منهم ؛ ليقالَ إبليسُ التقيُّ المصلِّي . . . وحيناً أظنُّ : أنَّه يريد أن يكونَ كاتباً مؤلِّفاً شهيراً ؛ ليقال إبليسُ المفكِّر المُصْلِح . . . وخطر لي أخيراً أنَّه يريد أن يكون حاكماً ملحداً فاجراً ، ليكون إبليسَ التَّامَّ ، لا إبليس النَّاقص . . .

* * *

ولمَّا ذهبت الأيامُ الثلاثةُ باطلاً ، خُيِّلَ إليَّ : أنَّ إبليسَ ـ أخزاه الله ـ يسألني عن المقالة : إلى أيِّ شيءٍ انقلبتْ . . . ؟ فشقَّ ذلك عَلَيَّ ، واغتَمَمْتُ به ، غيرَ أنِّي اطمأننْتُ إلى يوم الجمعة ، وأن وراءه ليلتين . وكانت قد غربت شمسُ الخميس ، فقلتُ : فلأخرجْ ؛ لأتفرَّجَ ممَّا بي ، وعسى أن أجمعَ نفسي للتَّفكير ؛ إذا جلستُ في النَّديِّ[٢] ، ولعلَّه يقع ما أستَوْحيه ، أو ينفتحُ لي بابٌ في القراءة .

---

(١) مجلة الرسالة . وكل مقالات هذا الجزء ، والجزء الأول كُتبت لها ، ونُشِرتْ فيها ؛ إلا فصولاً قليلة . (ع) .

(٢) « النديّ » : مجلس القوم ، ومجتمعهم ، ومُتحدَّثهم .

وخرجتُ ، فلم أجاوِز الدَّارَ حتَّى ابتدرني من هَبَطَ عليه الخبرُ من القاهرة أنَّ نسيباً لنا من العظماء توفي أخوه اليوم . فقلت : لا حول ، ولا قوَّة إلا بالله ! ضاع يومُ الجمعة ؛ إذ لا بدَّ من السَّفر لتشييع الجنازة ، وحضور المأتم ، ثمَّ قلت : لعلَّ في هذا السَّفر استجماماً ، ونشاطاً ، فأستدركَ الأسبوع كلَّه في يومين ، وإنَّما الاستكثارُ بالقوَّة لا بالزَّمن ، ولا يدَ لإبليس في الموت ، والحياة ، فليس إلا اطِّراحُه ، وقلةُ المبالاة به ، وإنَّما هي خَطَراتٌ من وساوسه .

وأصبحتُ في القاهرة ، ومشيتُ في الجنازة قبل الظُّهر مَسِيرَةَ ساعةٍ كاملةٍ ، وكانت الشَّمسُ ساطعةً تتلألأ ، وأنا مُثْقَلٌ بثياب الشِّتاء ، وكنت أتوقَّع أن يكونَ اليومُ من أيَّام الرِّيح المجنونة ؛ فلما انتهينا إلى الصَّحراء ، هبَّت الرِّيح هبوباً ليناً ، ثمَّ زَفَّت[1] فكانت إلى الشِّدَّة ما هي ، ولكنَّها ماضيةٌ تَسْفِي الرَّملَ في الأعين فيأخذُ في أجفاني أُكالٌ ، وتَهْييج ، وليس معي شيء أتَّقيها به ؛ غيرَ أني شغلتُ فكري برؤية المقابر ، وجعلتها في نفسي كالمقالة المكتوبة سَطراً وراءَ سطر ؛ وقلت : ها هنا الحقيقةُ في أول تفسيرها ، وغيرُ المفهوم في الحياة يُفْهَم هنا .

ثم رجعتُ مُنَدَّى الجسم بالعرق ، وعَلَيَّ نَضْحٌ منه ، وكان القميصُ من الصُّوف ، وبصدري أثرٌ من النَّزلةِ الشُّعَبِيَّة[2] ؛ وإذا تَنَدَّى الصُّوفُ وجب نزعُه ، وإلا فهي العلَّةُ ما منها بدٌّ .

ثم لم تكن إلا ساعةٌ حتى انْخَرقَت الرِّيحُ ، وجعلتْ تَعْصِفُ ، وبَرَدَ الجوُّ ، فأيقنتُ : أنَّه الزكام ، وقلتُ في نفسي : هذا بابٌ على حِدَة ، والمقالة ذاهبةٌ لا محالة ، فسيتخَلَّفُ الذِّهن ، ويتبلَّد ، والشَّيطانُ كريمٌ في الشَّرِّ ، يُعطي من غير أن يُسأل .

وثَقُل ذلك عَلَيَّ ، فكان الغمُّ به علَّةً جديدة ، بيدَ أنِّي لم أزل أرجو الفرصة في أحد اليومين : السَّبت ، والأحد . وقلت : إنَّ من البلاءِ الفكرَ في البلاء ، ولعلَّ من السَّلامة الثِّقةَ بالسَّلامة ؛ فإذا نبَّهتُ العزيمةَ رجوتُ أن يتغلغل أثرُها في البدن كلِّه

(١) « زفت » : زَفَّت الريح : هبَّتْ هبوباً ليِّناً .
(٢) « الشعبية » : الشُّعبة : هي أحد فرعي القصبة الهوائية . جمع شُعَب . وشُعَب الصدر : مجاري التنفس في الرئتين .

فيكون علاجاً في الدَّم يَحْدُثُ به النَّشاط ، ويُزْهَفُ منه الطَّبع ، وتجمُّ[١] عليه النَّفس . وفي قوَّة العصَب كهربائيةٌ لها عملُها في الجسم ، إذا أحسن المرء بعْثَها في نفسه ، وأحكم إفاضتَها ، وتصريفَها على طريقةٍ رياضيَّةٍ ؛ ولَهِيَ الدَّواء حين يَعجز الدَّواء ، وهي القوَّةُ حين تُخذَلُ القوَّة .

فاعتزمتُ ، وصمَّمتُ ، واحتَلتُ على الإرادة ، وتكثَّرتُ من أسباب الثِّقة ، وترصَّدتُ لها السَّوانحَ العقليةَ التي تَسْنَحُ في النفس ؛ وقلتُ لإبليس : اجهَدْ جُهْدَك ، فما تذهبُ مذهباً إلا كان لي مذهبٌ . ولكنَّ اللَّعينَ أخطر في ذهني قول القائل يسخَر فيه من ذلك الكاتب البغداديِّ[٢] :

لو قيلَ : كم خمسٌ وخمسٌ ؟ لاغْتَدى ... يــومــاً وليلتَــه يَعُــدُّ ويَحْسُــبُ
ويقــول : مُعْضِلَــةٌ عجيــبٌ أمرُهــا ... ولئــن فهمــتُ لهــا ، لأمْرِيَ أعجــبُ
خمسٌ وخمسٌ ستــةٌ ، أو سبعــةٌ ، ... قــولان قــالهــا الخليــلُ وثعلــبُ

* * *

ثُمَّ أجمعت الرُّجوعَ من يومي إلى (طنطا) ، لأتَّقي البردَ بعلاجه إن نالني أثره ، وكان عَلَيَّ وقتٌ إلى أن يقومَ القطار ، فذهبت فقضيت واجباً من زيارة بعض الأقارب في ضاحية (الجيزة) ، ثُمَّ ركبت التُّرام ؛ الذي أعلم أنَّه ذاهبٌ إلى محطَّة سكَّة الحديد .

وجلست أفكِّر في إبليسَ ومقالته ، والتُّرام ينبعثُ في طريقه نحو ثلث السَّاعة ، حتَّى بلغ الموضع الذي يُنعرَجُ منه إلى المحطَّة ، وهو بحيالِ (جمعية الإسعاف) ، حيثُ تنشعبُ طرقٌ أخرى ؛ وكنت منصرفاً إلى التَّفكير مستغرقاً فيه ، طائفَ النَّظَراتِ على الجوِّ ، فما راعني إلا اختلافُ منظرِ الطَّريق ؛ وأنتبهُ ، فإذا التُّرام يَمْرُقُ مروقَ السَّهم في تلك السبيلِ الصَّاعدةِ إلى (الجيزة) . . . من حيث جئت .

فلعنتُ الشَّيطانَ ، وتلبَّثْتُ حتَّى وقف هذا التُّرام ، فغادرتُه ، ورجعت مُهَرْولاً إلى ذلك المنشَعَب ، فصادفت تراماً آخر ، فوثبتُ إليه كأنِّي أُحمل إليه حملاً ،

---

(١) « تجم » : جَمَّ الفرس : تُرِكَ فاستراح ، فعادت إليه قوَّته .
(٢) قيل هذا الشعر في وصف مروان الكاتب ، وهو رجل من بغداد ، وكان كاتباً على الخراج ، فسخر منه الشاعر بهذا الأسلوب البديع . (ع) .

ودفعتُ الأجرة ، وانطلق ، فإذا هو مُنصَبٌّ في تلك الطَّريقِ عينها الذَّاهبة إلى الجيزة من حيثُ جئت . . . ولا أستطيع الانحدارَ منه وهو منطلقٌ ، فتَسخَّطتُ ، ولعنتُ الشَّيطان مرَّةً أخرى ، ورأيت أن عَبثَه قد تَرادَفَ ؛ فلمَّا سكَن التُّرام رجعتُ مهرولاً إلى ذلك المنشَعَب ، ولم يبق من الوقت غيرُ قليل .

وأنظرُ ثَمَّ ، فإذا ترامٌ وراء ترام ، وإذا قد وقعتْ حادثة لإحدى السَّيارات ، واجتمع النَّاس ، وسُدَّت الطريق . . . فجعلتُ أغْلِي من الغيظ ، ولعنتُ هذا الدَّعَّابَةَ الخبيث . وأَذْكرني اللَّعينُ نادرةَ الأعرابيِّ الَّذي عضَّه ثعلبٌ ، فأتى راقياً ، فقال له الرَّاقي : ما عضَّك ؟ فاستَحى أن يقول : ثعلبٌ ، وقال : كلبٌ . فلمَّا ابتدأ الرَّجلُ برُقْيَة الكلب ، قال له الأعرابيُّ : واخْلِطْ بها شيئاً مِنْ رُقْية الثَّعالب .

* * *

ثُمَّ إنِّي لم أرَ بدّاً من بلوغ المحطَّة على قدميَّ لأتمَّ على عزيمتي في مراغمَةِ[1] اللَّعين ، فأسرعتُ أطوِي الأرض ، وكأنَّما أخوضُ في أحشائِه ، وكان بصدري التهابٌ ، فهاجَ بي ، غير أنِّي تجلَّدت ، واتَّسَعْتُ لاحتماله ، وبلغتُ حيث أردت . ثمَّ ذهبتُ ألتمس في القطار عربةً خاصَّة أعرفُها ، كانت من عربات الدَّرجة الأولى ، فجعلوها في الثانية يرفِّهون بها بعضَ التَّرفيه على طائفة من المسافرين ؛ وأصبتُ فيها مكاناً خالياً كأنَّما كان مهيَّأً لي بخاصَّةٍ . . . فانحططتُ فيه إلى جانب رجلٍ أوربِّي أحسِبُه ألمانياً ، لتفَاوُتِ خَلْقِهِ ، وعُنْجُهِيَّتِه ؛ وجلستُ أُنفِّس عن صدري ، ثُمَّ أقبلتُ أسخَرُ من إبليسَ ، ونِكايَتِه ، وجعلتُ أتعجَّب ممَّا اتَّفق من هذا التَّدبير .

وتحرَّك القطار وانبعثَ ، وكان الأوربيُّ إلى جانبي مما يَلي النَّافذةَ ، وقد تركها مفتوحةً ، فأحْسَسْتُ الهواء ينصبُّ منها كالماء البارد ، وأنا مُتَنَدٍّ بالعرَق ، وترقَّبتُ أن يُغلِقَها الرَّجلُ ، فلم يفعل ، فَصابرتُه قليلاً ؛ فإذا هو ساكنٌ مطمئنٌّ ، يتَرَوَّحُ بالهواء ، وكأنَّما يَشرَبُه ، وتأمَّلتُه فإذا شيخٌ في حدود السِّتِّين ، أو فوقَها ، غيرَ أنَّه على بقيَّةٍ من قوَّة مصارع في اكتنازِ عَضَله ، واجتماع قوَّتِه ، ووَثاقةِ تركيبه ، فأيقنتُ : أنَّ الهواءَ من حاجته ، وهممتُ أن أنبِّهَه ، أو أقومَ أنا فأغلق النَّافذة ، ولو شئتُ أن أفعل ذلك ؛ فعلتُ ، غيرَ أنَّ الشَّيطان ـ أخزاه الله ـ وَسْوَسَ لي : أنَّ هذا

---

(١) « مراغمة » : مغاضبة .

رجلٌ أجنبيٌّ غَربيٌّ ، وأنت مصريٌّ شرقيٌّ ، فلا يَحسنُ بك أن تُعلِمَه ، وتُعلمَ الحاضرين أمامكما : أنَّك أنت الأضعفُ على حينِ أنَّه هو الأَسَنُّ ، وكيف لا تَقومُ لما يقوم له ، وقد كنتَ تُباكرُ الماء الباردَ في صميم الشِّتاء ، وكنتَ لا تلبس في أشدِّ أيام البرد غيرَ ثياب الصَّيف ، وكنت تحمل كذا ، وكذا ثِقْلاً للرِّياضة ، وتُعاني كذا ، وكذا من ضروب القوَّة ، وكنتَ تلوي بيديك عودَ الحديد ، وكنت ، وكنت . . . .

فتذمَّمْتُ واللهِ ممَّا خطَر لي ؛ وأنِفتُ أن أنبِّهَ الرَّجل ، ورأيتُ عملي هذا ضعفاً ، وفُسولةً[1] ، ولم أعبأ بالهواء ، ولا بالعرَق ، ولا بالنَّزلة الشُّعَبيَّة ، ولا بالزُّكام ، وتركتُ الأوربيَّ وشأنَه ، وأقبلتُ على كتابٍ كان في يدي ، وتناسيتُ : أنَّ هذه النَّافذةَ جهةٌ من تدبير إبليس ؛ وكان القطارُ مزدحماً بالرَّاجعين من المعرض الزِّراعي الصِّناعي ، وبعضُ النَّاس وقوفٌ فلا مطمعَ في مكانٍ آخر . . .

ولبثتُ ساعةً ونصفَ ساعة في تيَّارٍ من هواء (فبراير) ينصبُّ انصباباً ، ويَعْصِفُ عَصْفاً ، وكأنِّي أسبحُ منه في نهرٍ تحت ظلمةِ اللَّيل الماطر ، والنَّاس معجَبُون بي وبالأوربيِّ ، وهذا الأوربيُّ معجَبٌ بي أكثرَ منهم ، وقد رأى مكاني ، وعرف موضعي ؛ وكان إلى يميني مجلسٌ بقي خالياً ولم يُقْدِم أحدٌ على أن يجلسَ فيه خوفاً من الهواء ، ومن الرَّجل الأوربيِّ . . .

ثُمَّ تراءيتُ أنوارَ محطَّة (طنطا) ، ولم يبقَ من هذه المحنة غيرُ دقيقتين ؛ فوالله الذي لا يُحْلفُ بغير اسمه عز وجلَّ ! لقد كان إبليسُ رقيعاً جِلْفاً بارداً ثقيلَ المزاح ؛ إذ لم أكَدْ أتهيَّأ للقيام ، حتَّى رأيتُ الرَّجل الأوربيَّ قد مدَّ يدَه ، فأغلق النافذة . . . .

* * *

ورجعتُ إلى داري ؛ وأنا أقول : ثُمَّ ماذا يا إبليس ! ثُمَّ ماذا أيُّها الدُّعْبُب[2] وحولتُ بجهدي أن أكتبَ ، أو أقرأ ، فلم أتحرَّكْ لشيءٍ من ذلك ، وكانت السَّاعة العاشرة ليلاً ، فصلَّيتُ ، وأويتُ إلى مضجعي .

ثُمَّ أصبحتُ يوم السَّبت ، فإذا كتابٌ من الأستاذ صاحب (الرِّسالة) : أنَّه

---

(١) « فسولة » : هي قلَّة المروءة ، وضعف الرأي .

(٢) الدُّعبب ، والمداعب ، والدَّعَّابة ـ بتشديد العين ـ : كلها بمعنى . (ع)

سيطبع عددين معاً ، فيريدُ لهما مقالتين ؛ إذ تُغلقُ المطبعة في أيام الأضحى ، وكان أملي في المقالة الواحدة مخذولاً ممَّا قاسيت ، فكيف لي باثنتين ؟!

واختلَطَ في نفسي همٌّ بهمٍّ ، وما يُفسِدُ عَلَيَّ أمري شيءٌ مثلُ الضِّيق ، فإذا تضايقتُ كنتُ غيرَ مَنْ كُنت ، ولكنِّي تيقَّظتُ ، وتنبَّهتُ ، وأمَّلتُ العافية ممَّا أجدُه من ثَقْلةِ البرد ، وضَعْفَته ، وأحدثتُ طمعاً في النَّشاط إذا جلستُ للكتابة في الليل ، فإنِّي بالنَّهار أعمل للحكومة .

فلمَّا كان اللَّيلُ لم أجد أمري على ما أحبُّ ، وجلستُ متفترّاً ، مُعْتَلاً ، وثقُلَ رأسي من ضَرْبة النَّافذة ، وتسلَّط عليَّ ظَنُّ المرض ، والعجز عن الكتابة ، وانتقَضَ الأمرُ كلُّه ، فرأيتُني أشقُّ على نفسي بلا طائلٍ ، فكان من صواب التَّدبير عندي أن أستجمَّ بالنَّوم ، ثم أنهضَ في السَّحَر للكتابة ؛ فأوصيتُ من يوقظني ، وحرَّرنا السَّاعةَ المنبِّهة على تمام الثَّانية بعد منتصف اللَّيل .

وأحسستُ أنِّي جائعٌ ، وأنَّ معدتي مشحوذةٌ[1] ، ونسيتُ كلَّ ما أعرف من الطِّبِّ ؛ وجاؤوني بشِواءٍ ، وحَلوى ، وما بينهما ، فحططتُ فيه ، ولَففْتُ الآخرَ بالأوَّل ، ثُمَّ قمتُ أريد النَّوم ، فإذا الطَّعامُ كان أشدَّ عليَّ من نافذة القطار ، وكان الَّذي في الفكر من المقالة أثقلَ من الَّذي في المعدة من الطَّعام ، وساء الهضمُ في الدِّماغ والبطنِ جميعاً !

وجعلتُ أتناوم ، وأُرخِي أعضائي ، وأتوهَّم الكرى ، وأَسْتَدنيه بكلِّ ما أعرف من وسيلة ، ثمَّ لا أزداد على ذلك إلا أرَقاً ، وتمرَّد الفكر ، وأحسَسْتُ رأسي يكاد ينفجر ، وصرتُ أتَمَلْمَلُ ، ولا أتَقَارُّ[2] ، وتوهَّمتُ أنْ لو كان لي عقلان ما استطعتُ كتابةَ المقالة عن إبليس لعنه الله ؛ وأذكرني الخبيثُ نادرةً مُضْحِكَةً : أنَّ رجلاً كان يركب حماراً ضعيفاً ، وكان يبعثُه ، فلا ينبعث ، فجعل يضربه ، فقيل له : ارفُقْ به . فقال : إذا لم يقدرْ يمشي ؛ فَلِمَ صار حماراً . . . . ؟

* * *

وقذفتُ بنفسي من الفراش ، ونظرتُ في السَّاعة ، فإذا هي موشِكَةٌ أن تبلغ

---

(١) « مشحوذة » : أشحذ الجوع المعدة : ضَرَمها ، فهي مشحوذة .

(٢) « أتقار » : أستقر ، وأسكن .

الثانية ، ولم أحِسَّ الرُّقادَ بعد ، فأسرعت إلى المنبِّهة ، وحرَّرتها على تمام السَّاعة الرَّابعة صباحاً ، وأيقنتُ : أنَّ الشَّيطانَ يُرهِقُني طُغياناً ، وكَيداً ، فطَفِقْتُ ألعنه ، وما أحسبُه إلا قد رأىٰ اللَّعن مَدْحاً ، فهو يستزيدني . . .

ثُمَّ رجعتُ أحاول النَّومَ ، فما كان هذا اللَّيلُ إلا شيئاً واحداً أوَّلهُ آخرُه إلى أنْ طلع الفجر .

وجاء يوم الأحد وهو يومُ عُطْلة الأوربيين ، فما أشدَّ عجبي ؛ إذ تركني فيه إبليس كأنَّهم لا يَدَعُون له وقتاً في هذا اليوم . . .

والآن يزيِّن لي الخبيث أن أختم هذه المقالة بـ . . . . بـ . . .

ولكن لا ! لا ! .

* * *